الملوك لم يجد منها ولا خرج عليه خارجي الا قمعه ولا خالفه الا دمغه
وكل من اضمر له سوءاً رماه الله بالخذلان وكان مع سعادة جده شديد
الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من احوال رعيته كبارهم وصغارهم
واصحاب اخباره في اقطار الارض يوصلون اليه احوال الملوك الظاهرة
والباطنة وكانت له حيل لطيفة ومكايد غامضة وخدع لا يفطن
لها احد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون
ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون ولما دخل رسول
صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل
فصار يبالغ في التكتم والورقة تأتيه فاختلى بامرأة دخلت من باب
السر فصبحته الورقة بذلك وفيها كان عليكم دواج فيه صورة الافيلة
فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك ان الخليفة يعلم الغيب لان الامامية
يعتقدون ان الامام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل وما وراء الجدار واتى
خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له ارجع فقد عرفنا
ما جئت به فرجع وهو يظن انهم يعلمون الغيب قال الذهبي قيل ان الناصر
كان يتخذ ومامن الجن ولما ظهر خوارزم شاه بخراسان وما وراء النهر
وتجبر واستعبد الملوك الكبار واباد امماً كثيرة وقطع خطبة بني العباس
من بلاده وقصد بغداد فوصل الى همذان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين
يوما فغطاهم في غير اوانه فقال له بعض خواصه ان ذلك غضب من الله
حيث قصدت بيت النبوة وبلغه ان امم الترك قد تألبوا عليه وطمعوا في البلاد
لبعده عنها فكان ذلك سبب رجوعه وكفى الناصر شره بلا قتال وكان الناصر
اذا اطعم اشبع واذا ضرب اوجع وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف
الفقر ووصل رجل معه ببغاء تقرأ قل هو الله احد تحفة للخليفة من الهند
فاصبحت ميتة واصبح حيران فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال الليلة
ماتت فقال قد عرفنا انها ميتة وقال كم كان ظنك ان يعطيك
الخليفة قال خمسمائة دينار فقال هذه خمسمائة دينار خذها فقد

ارسلها

١٥٣

ارسلها اليك الخليفة فانه قد علم بحالك منذ خرجت من الهند وكان
صدر جهان قد صار الى بغداد ومعه جمع من الفقهاء وواحد منهم لما
خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة فقال له اهله لو تركتها
عندنا لئلا تؤخذ في بغداد فقال الخليفة لا يقدر ان يأخذها مني فامر
بعض الوقادين انه حين يدخل بغداد يضربه ويأخذها منه ويهرب في الزحمة
ففعل فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث فلما رجعوا من الحج خلع على صدر جهان
واصحابه وخلع ذلك الفقيه وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب
وطوق وقيل له لم يأخذ فرسك الخليفة انما اخذها آتون بخز مقتبا عليه
واسجل بكراماتهم وقال الموفق عبد اللطيف كان الناصر قد ملأ القلوب
هيبة وخيفة فكان يرهبه اهل الهند ومصر كما يرهبه اهل بغداد فاحيا
هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته وكان الملوك
والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا اصواتهم
هيبة واجلالا وورد بغداد تاجر معه متاع دمياط المذهب فسألوه
عنه فانكر فاعطي علامات فيه من عدده والوانه واصنافه فازداد انكاره
فقيل له من العلامات انك نقمت على مملوكك التركي فلان فاخذته الى سيف بحر
دمياط خلوة وقتلته ودفنته هناك ولم يشعر بذلك احد وقال ابن النجار
دانت السلاطين للناصر ودخل تحت طاعته من كان من المخالفين وذلت له
العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض اعداؤه وكثر انصاره
وفتح البلاد العديدة وملك من الممالك ما لم يملكه احد ممن تقدمه من الخلفاء والملوك
وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين وكان اشد بني العباس تتصدع
لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف فصيح اللسان بليغ البيان
له التوقيعات المسددة والكلمات المؤيدة كانت ايامه غرة في وجه الدهر
ودرة في تاج الفخر قال ابن واصل كان الناصر شهما شجاعا ذا فكرة صائبة
وعقل رصين ومكر ودهاء وله اصحاب اخبار في العراق وسائر الاطراف
يطالعونه بجزئيات الامور حتى ذكر ان رجلا ببغداد عمل دعوة وغسل يده

Copyright King Saud University